

الأمد 2010-01-17

870- هل كان أحدهم قد سقى الحكومة "حاجة أصفرا" ثم أفاق؟

تعتة الوفد

أين الخطأ فيما تفعله الحكومة المصرية الآن؟ هل هناك خطأ أصلاً، أم أن الخطأ كان قبل ذلك، وما جرى هو تصحيح للخطأ بما يبدو أنه خطأ أكبر. طبعاً لا يوجد شيء اسمه جدار فولاذي بين أية دولة محترمة، وأية دولة أخرى، ولكن أين الدولة الأخرى أصلاً؟ هل غزة دولة أخرى؟ أم أنها جزء من كيان فلسطيني لم يوجد بعد، مع أنه هو الأصل؟ وهل غزة هي دولة غير دولة الضفة الغربية؟ أم ماذا؟.

في تصوري أن أكبر خدعة وقع فيها الفلسطينيون، بغفلة أو بغير ذلك - هي قيام ما يسمى "السلطة الفلسطينية"، ماذا استفاد الشعب الفلسطيني من هذه السلطة تحديداً، هل شعر أنه شعب مستقل له سيادة؟ هل شعر المواطن الفلسطيني أنه مواطن يعيش على أرض ينتمي إليها، له حقوق مثل أي إنسان ولد على أرض وعاش فيها ليدفن هو وأهله وأولاده فيها؟ لو لم تكن هناك سلطة فلسطينية أصلاً، لما انشق الشعب الفلسطيني على نفسه إلى شعبين!!،

ثم لماذا سكنت الحكومة المصرية كل هذا الوقت حتى أصبحت حدودها سداً مديحاً لعربات شحن، وثرلات، ومقطورات، تعلن بكل كرم، أو بكل غباء، أنه لم تعد ثمة حدود دولية معترف بها أصلاً، هل كان معنى هذا أننا نريد أن نعاون إخواننا المطحونين الجائعين المرضى في غزة فعلاً، أم أنها كانت مجرد رشوة تسكيتية (من السكوت)، حتى يتصور إخواننا المطحونين هناك، وبعض العرب الذين مازالوا يثقون فينا، ويرجون منا الخير، يتصورون أننا مع الفلسطينيين كما ينبغي، لما ينبغي، وأنا نشاركهم مأساتهم، ولو علي حساب حرمة حدودنا؟ وهل كان ينبغي لكي نثبت لهم ذلك، أو نصور لأنفسنا ذلك، أن نتهاون في أبسط حقوق أية دولة لها سيادة موجودة على خريطة العالم بحدود مرسومة؟

لا يمكن أن تُحفر كل هذه الأنفاق، عبر كل هذه السنين، بكل هذا الحجم، إلا بعلم وإذن حكومة البلد الذي سمح بها هكذا، إذن كان هناك سبب إنساني أو سياسي أو قومي أو عولمي

للسماح بهذا الذي حدث طول هذا الوقت وبهذا الحجم، فهل اختفى هذا السبب فجأة؟؟ لماذا يا ترى؟

طيب، وإسرائيل؟ ألم تكن تعلم بهذه الأنفاق منذ سنوات؟ لماذا سكنت، إلا من همهمات متفرقة، وهي تعلم أن السلاح يهرب منها؟ أم أنها كانت ضامنة أنه سلاح خفيف خفيف، من حيث أن مصر بعيدة عن مصادر السلاح الأهم، الآتية من الجهة الشرقية؟

ثم ما هي حكاية تجويع غزة بالذات؟ لأن حماس التي تمثل المقاومة الحقيقية المتبقية هي التي تحكمها؟ ومن أين تحصل الضفة الغربية على احتياجات الفلسطينيين فيها؟ هل توجد أنفاق أيضا بين الأردن وبينها؟ أم أن هناك طرق علنية مشروعة لتزوير المساعدات والغذاء والدواء؟ ولماذا لم تلجأ الحكومة المصرية لمثل هذه الطرق المشروعة إذا كانت المسألة تتعلق بالغذاء والكساء والدواء، أو حتى بالسلاح؟

أعتقد أننا إن لم نجب على كل هذه الأسئلة بوضوح وشجاعة، فسوف نفقد أي خيط يمكن أن يهدينا إلى ما هو الصحيح وما هو الخطأ، وما هو الواجب الحتمي، وما هو البديل الاختياري. حكومتنا مسنولة قديما وحتى الآن، فإن كان ثم تهاونا قد حدث فيما سبق، فلا ينبغي أن نصح الخطأ بخطأ أكبر.

حتى لو كان أحدهم قد سقى الحكومة "حاجة أصفرا" وكان مفعولها طويلا كل هذه المدة، ثم أفاقت فجأة لتجد أنها فقدت أعز ما تملك، فلا ينبغي أن نلقى اللوم على من سقاها تلك الحاجة الأصفرا وحده، (والذي ما زلت مختارا في تحديد هويته) لأنها هي التي شربتها قبل أن تغيب عن وعيها، وحتى لو كانت الحكومة قد أفاقت تلقائيا فوجدت هذه الأنفاق كأنها فححت بالسحر الأسود من ورائها، فلا بد أن تعرف أن للأمر الواقع حضوره الجاثم، الذي يستمد مشروعيته من وضع اليد بالمدة الطويلة، وبالتالي يتبع القاعدة القانونية المشهورة: "يستمر الحال على ما هو عليه، والمتظلم يلجأ للسلطات"، وبما أنه لا توجد سلطات عادلة لا عالمية ولا قومية، وبما أن الحكومة هي التي ساهمت، في هذا الذي كان كما ذكرنا، فمن باب الأمر الواقع عليها أن تتحمل مسؤولية استمرار الوضع حتى تجد هي والمتضرر بديلا مشروعا مناسبا، وأخيرا لنا أن نتساءل هل ثمة تعليمات صدرت، أو توصيات وصلت، أو قرص أذن تم، أنه "كفاية كده"، إن كان الأمر كذلك، فالمصيبة أكبر بحق.

إن كل ذلك ينتهي بنا إلى خلاصة صعبة تقول إن ما يجري على الساحة الآن إنما يدل على: تهاون سابق، وإفاقة متخبطة، واحتمال تبعية مهينة، وكلها احتمالات خطيرة تحتاج إلى تساؤل ومحاسبة.

وبعد

خطر ببالي أن العاقل جدا (أو المجنون جدا) يمكن أن ينتهي إلى اقتراح بأن تحمل السلطة الفلسطينية في كل من غزة والضفة نفسها فورا وتغاما، وتدعو إسرائيل للعودة إلى الاحتلال

الكامل بكل مسؤوليته الدولية والقانونية، وبكل ثمنه الذي لا بد أن يدفعه المحتل من مقاومة المحتلين طول الوقت كما حدث عبر التاريخ، وعلى من يريد أن يساهم في رفع الظلم وتحرير هؤلاء البشر المحتلين، بما في ذلك العرب الأوجب عليهم ذلك، ماليا وتسليحا وحروبا، أن يساعدهم إنسانيا وقوميا طالما الاحتلال مستمر ولو استمر قرونا مثل الجزائر. كما على نشطاء العالم الكرام أن يقوموا بدورهم الإنسانى بالضغط على بلادهم، بقدر ما يقومون بالمساعدة بما يملكون من جهود ودعم للمحتلين.

وهكذا يعود الإسرائيليون ليكونوا مسئولين عن منع من لا يريدون دخوله في الأرض المحتلة عبر كل حدودها شرقا وغربا.

وبالنسبة لغزة، من البديهي أن يتم إقامة جدار من الجيش الإسرائيلي محل هذا النشاط الفولاذى القبيح، ويكون أمرا أقرب إلى الواقع من هذه الفضيحة المهزلة.